

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية

المقياس: النقد الأدبي المعاصر والمدارس النقدية المعاصرة.

المحاضرة رقم 05: نظرية القراءة (جمالية التلقي)

أ.د مختاري خالد (جامعة وهران 01)

طالبة السنة ثانية لسانس ( ل م د) / دراسات لغوية

طالبة سنة أولى ماستر ( ل م د) / أدب جزائري

تقديم:

لقد أحدثت نظريات جمالية التلقي ثورة كبيرة في مجال الدراسات الأدبية والنقدية وفي تاريخ الأدب الحديث، بوصفها نمطا جديدا في الدرس الأدبي. وقد "كان أرسطو في تاريخ الحركة النقدية من أبرز رواد الفكر اليوناني اهتماما بفلسفة التلقي، أو مفهوم الجمال في استقبال النص، ففي رصيده الفكري والنقدي يتمثل لنا اهتمامه، بهذه المسألة، وكأنها محور هام يستقطب تفكيره ويستجمع فلسفته في الحديث عن أجناس الأدب"<sup>1</sup>

ولقد شهدت سنوات السبعينات اهتماما متزايدا بموضوع القراءة في حقل الدراسات

الادبية حيث أسهم نقاد ومنظرون المان من جامعة كونستانس الألمانية

Konstanz ومن اشهر هؤلاء المنظرين هانز بروبورت ياوس Hans

Robert Jauss وولف فانغ ايزر Izer gang وولف . في تحديد المحاور

الكبرى لجماليات التلقي التي تؤكد اهمية دور المتلقي او القارئ في تحقيق الأثر الجمالي

للنص، اي في نقل النص من حالة الامكان الى حالة الانجاز التي يولد معها نص

القارئ.

ثم يبحث امبرتوايكو في علاقة القارئ بالنص وأثر هذه العلاقة في حركية التأويل،

حيث أصبح القارئ على عكس الناقد يرفض أن يتقيد بمعايير ومنطلقات موضوعية

<sup>1</sup>- ينظر: محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي

(دراسة مقارنة)، دار الفكر العربي القاهرة.1996م، ص45.

خالصة يمكن أن توجه عمله حساب مثال معين، ويسعى دائما إلى انتاج شيء آخر ينطلق من النص ولا يختلط به او يماثله. بل يشكل احتمالا وتجربة فريدة يمكن أن تكون أيضا نقطة انطلاق لقراءات جديدة.

### أصول المعرفة لنظرية التلقي:

جمالية التلقي كغيرها من النظريات النقدية، تقوم على مجموعة من الأسس والمرتكزات التي تشكل مرجعيتها الفكرية والفلسفية، ذلك "أن معظم المذاهب النقدية تنهض في أصلها على خلفيات فلسفية، على حين أنا لا نكاد نظفر بمذهب نقدي واحد يقوم على أصل نفسه، وينطلق من صميم ذاته الأدبية، وما ذلك إلا لأن الأدب ليس معرفة علمية مؤسسة، تنهض على المنطق الصارم والبرهنة العلمية، ولكنه معرفة أدبية جمالية أساسها الخيال والإنشاء قبل أي شيء آخر"<sup>2</sup>.

وترجع أصول جمالية التلقي إلى فلسفتين عرفتا في ألمانيا، وهما الظاهراتية والهرمينوطيقا، حيث أن إشكالات الفهم والتأويل والإدراك، وكذا إشكالية الذاتية والموضوعية أو علاقة الذات بالموضوع، كانت المسألة الأساسية في الهرمينوطيقا والفرغونولوجيا على حد سواء، و لأن هذين الاتجاهين كانا يشكلان من الجهة الأخرى، الخلفية المعرفية التي تأسست عليها نظرية التلقي"<sup>3</sup>.

### • النص:

إنّ القارئ هو أكبر منشئ في كل النظريات الكلاسيكية للأدب، وقد وافق هذا القول عز الدين اسماعيل فقد شرعت من الستينات والسبعينات من القرن الماضي مجموعة من البحوث في اللسانيات والسميولوجية ونظرية الأدب في الاستقصاء التعسفي لكل مظاهر فعل القراءة انطلاقا من رموز الحروف وإلى غاية مشاكل التأويل والتلقي.

<sup>2</sup> - عبد المالك مرتاض، في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها)، دار هومة، الجزائر، دط، 2002م، ص 79.

<sup>3</sup> عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2007م، ص 14.

ففي الأدب نجد أن هناك اضطرابات عميقة قد جلبت الى مفهوم النص وذلك بواسطة كتاب القطعة لستيفان ملارميهMallarmé Stéphane ونيتش Nietzsche

فسمحا بطرح مسألة تعدد التأويلات وبالتالي مسألة دور أهمية القارئ في العملية الابداعية. وقد اندس هذا التصور الجديد للقراءة بصعوبة في التعليم، وكان له بعض التأثير على الممارسات الجارية في تحليل النصوص، فإننا اقصى التعقيد يعرفه فعل القراءة يتجلى مع النظريات الحديثة للتأويل ونذكر منها:

إن تأويل نص ما يبدأ عندما تشرع في القراءة ، وللتوضيح فإن هذا يدل على أن من الوهن المطالبة في البدء بملاحظة الظواهر الموضوعية داخل النص قبل تأويله. وبالعكس فاذا كان النص محملا بدلالات غير متوقعة يتحتم أن يحصل نوع من الارتجاع أي اعادة تشكيل وتقوم كل أنجز قبله.

ما أن يشرع القارئ في القراءة حتى ينعكس حتما الجهد النقدي للقارئ على عمله التأويلي الخاص، وبالتالي يصبح ذلك مادته الاولى في التحليل والاتقان. يقول ميشال أوستنMichael Austin وهو بصدد الحديث عن سيميولوجية القراءة : « إذا كان النص لا يوجد إلا بوجود القراءة، وإذا كان التأويل يبدأ عندما يستحوذ القارئ على النص، فإنه يصبح من العسير جدا أن نتحدث عن النص خارج القراءة التي هي من نتائجه. وأغلب الملاحظات التي سنحاول اقتراحها حول النص هي إذن ملاحظات تتحقق بفضل التأويلات"<sup>4</sup>.

في نفس السياق، يحاول إيكون أن يفصل بين ثلاثة حقول، دونها لا يمكن الحديث عن فعل القراءة والتأويل:

- 1- النص بوصفه مجموعة من البياضات والدوال القابلة للملء وللتأويل.
- 2- القارئ بوصفه مجموعة من النصوص (وهو ما يسميه إيكون بالموسوعة).
- 3- التقاء النص بالقارئ، وهو ما يصفه إيكون بالتشارك النصي أو الموقع الافتراضي.

---

<sup>4</sup> - ميشال أوتن: سيميولوجية القراءة، ضمن كتاب: نظريات القراءة: من البنيوية إلى جمالية التلقي ص59

وليس على نظرية القراءة وحدها أن تنجز وصفا كاملا لهذه الحقول الثلاثة ولكن كل فعل كامل للقراءة سيصل بجلاء ودقة وانفتاح على التعددية النصية الى محاولة التمييز بوضوح داخل حركته الخاصة لنظام المكونات الخاصة للنص. حيث يرى إيزر أن مقولات "الاحتمال" و"اللاتماثل" و"اللاتناسق" و"الاتحديد" وبنيات "البياضات" و"الفراغات" و"طاقات النفي" ما هي إلا عبارات تدل على تنوعها على ما يسميه إيزر بـ " الفراغ الباني" ( Le vide constitutif)، والذي تبني عليه العلاقة التفاعلية بين النص والقارئ، وتضبطه إلى حد كبير. و"عامل الضبط" هذا الذي حرص إيزر على تأكيده في نظريته هو ما يحصن آراءه ومواقفه من منتقديه ويمنع مفهومه للتأويل من الانزلاق في الذاتية السطحية (...). ويرى إيزر [ تماشيا مع تصور إيكو] أنه بالرغم من كون المعنى غير ثابت في النص، توجد ثوابت لا بد من مراعاتها خلال عملية التأويل<sup>5</sup>.

بمعنى أن القارئ ولو أنه يبدو ظاهريا بأنه يتمتع بحرية مطلقة في تأويل نص أدبي من خلال ملكه للفراغات والبياضات، فإن هذه الحرية، من جهة أخرى، تبقى مشروطة ومقيدة بمجموعة من النماذج أو المنظورات النصية، أو كما يسميها إيكو العوالم الممكنة التي تساهم في ضبط المسار التأويلي عند القارئ بإرشاد من التوجيهات النصية. حيث يندمج القارئ في "بنيات النص ويعدل كل لحظة مخزون ذاكرته في ضوء المعطيات الجديدة لكل لحظة من لحظات القراءة..<sup>6</sup>

#### ● نص القراءة

إن البديهية التي تنطلق منها كل النظريات الحديثة للقراءة هو أن كينونة لا تكون إلا بواسطة القراءة، أو كما يقول روتن: " لا نقرأ نصا، فالنص موجود لان هنا قراءة قد انجزت ولما كان التأويل يبدأ مع استلاء القارئ على النص فانه يصبح من الصعب جدا،

<sup>5</sup> - ينظر: الجيلالي الكدية : الترجمة بين التأويل والتلقي مجلة الترجمة والتأويل منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 1995 ص 54 - 55.

<sup>6</sup> - ينظر: فولفغانغ إيزر: فعل القراءة: نظرية جمالية التجاوب (في الأدب) ترجمة حميد لحداني، د. الجيلالي الكدية منشورات مكتبة المناهل 1995 ص 5.

الحديث عن النص خارج القراءة التي هي من نتائجه. وأغلب الملاحظات التي سنحاول اقتراحها حول النص هي إذن ملاحظات تتحقق بفضل التأويلات"<sup>7</sup>.

وبصورة عامة فإن ما يوافق ما نريد رصده داخل النص يدور حول قطبين يمكن أن نسميهما أولاً: أماكن التحقق (lieux des certitudes) وأماكن الالاتحقق (lieux d'incertitude)

- أماكن التحقق: وهي المواضيع الأكثر وضوحاً والأكثر ظهوراً في النص وهي التي ننتقل منها لبناء التأويل.

- أماكن الالاتحقق: وهي التي تستطيع أن تذهب من السطح المشوش إلى المقطوعة أكثر انغلاقاً. وتضع القارئ في حيرة أو أنه يوظف كل حريته باعتباره قارئاً.

\* اقتراحات لأماكن التحقق:

أ- العنوان، والعناوين الفرعية، وعناوين الفصول للعمل الأدبي، رغم أنها متعددة المعاني إلا أنها تؤسس منطلقات حتمية للقراءة.

ب- إشارات الاجناس أو الاجناس الفرعية: رواية حكاية درامية.. هذه الإشارة تستدعي الكفاية اللسانية والبلاغية والثقافية للقارئ. وتقتصر ميثاقاً للقراءة.

ج- توابع الوحدات الدلالية: في علاقة التشابه ( تكرار الكلمة، تكرار الكلمات من نفس الجذر، تكرار المترادفات- في علاقة التضاد: في علاقة التوزيع: في علاقة التدرج ( التدرج من حدث إلى حدث - داخل نظام زمني)- تتابع وحدات الحدث تؤسس البنية القاعدية الأكثر ثباتاً في السرد.

اقتراحات أماكن الالاتحقق: وهي محفزات لتعدد النص وذات أنواع شتى. إن القاعدة الأساسية التي ينطلق منها إيكو في كتابه (القارئ في الحكاية)، تتمثل في كون وجود النص يفترض تعاون القارئ و مشاركته كشرط حتمي لانتشاله من الجمود إلى الحركة. إنه البياض والمسكوت عنه الذي يتركه النص كهامش لتحرك القارئ ومساهمته- عبر ملء الفراغات والبياضات- في تنشيط النص. ذلك لأن النص الأدبي - كما يعرفه إيكو- "آلة كسولة تتطلب من القارئ القيام بعمل مشترك دؤوب لملء البياضات غير

<sup>7</sup> - ميشال أوتن: سيميولوجية القراءة، ضمن كتاب: نظريات القراءة: من البنيوية إلى جمالية التلقي. ص 59.

المقولة أو الأشياء التي قيلت لكنها ظلت بيضاء<sup>8</sup>. وهذه البياضات والفراغات التي تكتسح مساحة النص الأدبي هي المسؤولة عن انفتاحه (النص الأدبي) على إمكانيات متعددة من القراءة والتأويل.

وهذا بالفعل ما توصل إليه إيكو عند حديثه عن أعمال كافكا الروائية بقوله: "إنّ التأويلات الوجودية، اللاهوتية، السريرية، والتحليلية النفسية للرموز الكافكاوية لا يستنزف كل واحد منها إلا جزءاً من إمكانيات العمل. بحيث يبقى هذا الأخير، باعتباره ملتبسا غير مستنزف ومفتوحاً [...] وخاضعاً لمساءلة دائمة"<sup>9</sup>. فمدرسة كوستانس الألمانية قد أسست شيئاً فشيئاً حول جدلية المقروء واللامقروء.

### ● نص القارئ:

كان المفهوم الكلاسيكي للقارئ يليح في هذا المجال خاصة على ضرورة السيطرة على السنن اللسانية *code linguistique* أما المنظور الحديث فقد أبان عن قصور هذا الموقف حيث سبق للتداولية ان عملت على إظهار الأهمية الحاسمة للمفترضات في كل فعل كلامي ( هي الفكرة الأولية التي نشأت منها اللسانيات التداولية. وهي من اهم مراجعها، بل يمكن التأريخ منها للتداولية حيث ترتبط اللغة بإنجازها الفعلي في الواقع، فالاستعمال اللغوي ليس ابراز منطوق لغوي فقط بل إنجاز حدث اجتماعي معين في الوقت نفس<sup>10</sup>.

والنص الثاني للقارئ يستوجب أن يتلاءم مع سنن ثقافية واسعة ومعرفة المتطلبات والبرامج السردية الخاصة بالأنواع الأدبية الكلاسيكية والأنواع الفرعية الحديثة أو الشعبية كما يتطلب السيطرة على مختلف المناهج التي يمكن لها ان تهيء لقراءة فعالة بتعددية النص. على أن يتوفر القارئ على آليات الكلام ( النحو، العروض، الاصوات، الاشتقاق..)

### ● من النص الى القارئ:

يعد هذا الحقل الاكثر اهمية، ففهم النص هو أولاً تكوين فرضية او اكثر من فرضية دلالية شاملة حول محتواها، ولكي يصف إيكر هذه العلاقة التفاعلية بين النص

<sup>8</sup> - Umberto Eco : Lector in Fabula , op. cit. p 27.

<sup>9</sup> - Umberto Eco : L'œuvre ouverte , éditions du seuil, Collection Points 1965 p 22

<sup>10</sup> - فان دايك، علم النص، ص 18.

والقارئ، فإنه يقدم عددا من المفاهيم المساهمة في بناء هذه العلاقة، وفي مقدمتها مفهوم " القارئ الضمني" (Le Lecteur implicite) باعتباره فرضية متضمنة في النص. وبهذا التصور يتوضح أن مفهوم القارئ الضمني يقترن من مفهوم القارئ النموذجي عند إيكو من حيث كونهما محفلين نصيين. وباعتبارهما كذلك، فهذا لا يعني تغييرا لدور القارئ الحقيقي، بل «شرط التوتر الذي يعيشه القارئ عندما يقبل دوره»<sup>11</sup>.

### ولمزيد من التفصيل ينظر المراجع التالية:

- عبد السلام المسدي : اللسانيات وإبستيمية النقد، المجلة العربية للثقافة السنة 16 المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ع 32 مارس 1997 .
- رشيد بنحدو : العلاقة بين القارئ والنص في التفكير الأدبي المعاصر مجلة عالم الفكر المجلد 23 عدد 1 - 2 يوليو - سبتمبر / أكتوبر - ديسمبر 1994.
- فرانك شويرويجن : نظريات التلقي. ترجمة: د.عبد الرحمان بوعلي، مجلة علامات في النقد الجزء 27 مجلد 7 مارس 1998 النادي الأدبي الثقافي بجدة .
- الجيلالي الكدية : الترجمة بين التأويل والتلقي مجلة الترجمة والتأويل منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 1995 .

<sup>11</sup>- محمد علي الكردي: ظاهرة التلقي في الأدب، مجلة علامات في النقد المجلد 8 عدد 32 النادي الأدبي الثقافي بجدة ص23 .